تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن كما قال تعالى : { الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به } وقال تعالى : { وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن با وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين } وقال تعالى : { إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا * ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا } وقال تعالى : { ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين } قال سعيد بن جبير : نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي فلما قدموا على النبي صلى ا عليه وسلّم قرأ عليهم { يس * والقرآن الحكيم } حتى ختمها فجعلوا يبكون وأسلموا ونزلت فيهم هذه الاية الأخرى { الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين } يعني من قبل هذا القرآن كنا مسلمين أي موحدين مخلصين مستجيبين له قال ا تعالى : { أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا } أي هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الأول ثم الثاني ولهذا قال : { بما صبروا } أي على اتباع الحق فإن تجشم مثل هذا شديد على النفوس وقد ورد في الصحيح من حديث عامر الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي وعبد مملوك أدى حق ا وحق مواليه ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها] وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق السيلحيني حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي أمامة قال : إني لتحت راحلة رسول ا صلى ا عليه وسلّم يوم الفتح فقال قولا حسنا جميلا وقال فيما قال : [من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين وله ما لنا وعليه وما علينا ومن أسلم من المشركين فله أجره وله ما لنا وعليه ما علينا] .

وقوله تعالى : { ويدرؤون بالحسنة السيئة } أي لا يقابلون السيء بمثله ولكن يعفون ويصفحون { ومما رزقناهم ينفقون } أي ومن الذي رزقهم من الحلال ينفقون على خلق ا في النفقات الواجبة لأهليهم وأقاربهم والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات وصدقات النفل والقربات وقوله تعالى : { وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه } أي لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم بل كما قال تعالى : { وإذا مروا باللغو مروا كراما } { وقالوا لنا أعمالنا

ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين } أي إذا سفه عليهم سفيه وكلمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب ولهذا قال عنهم إنهم قالوا { لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين } أي لا نريد طريق الجاهلين ولا نحبها .

قال محمد بن إسحاق في السيرة : ثم قدم على رسول ا صلى ا عليه وسلّم وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وساءلوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مساءلة رسول ا صلى ا عليه وسلّم عما أرادوا دعاهم إلى ا تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم : خيبكم ا من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال : قال : ما نعلم ركبا أحمق منكم أو كما قالوا لهم فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه لم نأل أنفسنا خيرا قال : ويقال إن النفر النصارى من أهل نجران فا أعلم أي ذلك كان قال : ويقال ـ وا أعلم ـ أن فيهم نزلت هذه الايات { الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون } إلى قوله { لا نبتغي الجاهلين } قال : وسألت الزهري عن هذه الايات فيمن نزلت ؟ قال : ما زلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن في النجاشي وأصحابه Bهم والايات اللاتي في سورة المائدة { ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين }